الجمهورية الجزائرية الديمقاطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية : العلوم الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

مذكـــــرة ماستـــر

إعداد وتقديم الطالبة : بثينة محفوظي

ميدان لغة وأدب عربي

شعبة أدب عربي

تخصص أدب حديث و معاصر

الأبعاد المكانية في مذكرات شاهد للقرن

لمالك بن نبي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
بوداود وذناني	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أبوبكر بوقرين	محاضر –أ–	مشرفا
بن عيسى الهامل	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية 2019-2020

شكر و عرفان

تمام الحمد والشكر لرب السموات و الأرض، الذي أعانني لإتمام هذا العمل راجية منه تعالى أن يجعله في ميزان الحسنات

و اخص بالذكر أستاذي المشرف على تعاونه و صبره و اهتمامه ،كما اشكر جميع أساتذتي على نصحهم وإرشادهم ،دون أن أنسى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد و إثرائه،زملائي وأصدقائي و أعزاء صحبتي...

فألف شكر و تقدير

إهداء:

إلى من أُفضّلها على نفسي، ولِمَ لا !؛ فلقد ضحّت من أجلي

ولم تدّخر جُهدًا في سبيل إسعادي على الدّوام

(أُمّي الحبيبة).

نسير في دروب الحياة، ويبقى من يُسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه

صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة.

فلم يبخل عليّ طيلة حياته

(والدي العزيز).

إلى أصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون، وفي أصعدة كثيرة

أُقدِّم لكم هذا البحث، وأرجوا أن يحوز على رضاكم.

فهرس المحتويات:	الصفحة

الإهداء

شكر و عرفان

مقدمة.....

الفصل الأول : البعد المكاني في المذكرات

1-البعد المكاني و أهميته في العمل في العمل الأدبي ص5

1-1-المكان : لغة و اصطلاحا.....

1-2-البعد: لغة و اصطلاحا..... ض9

1-3-أهمية المكان في العمل الأدبي ص11

2-بين المذكرات و السيرة الذاتية ص13

2-1- تعريف المذكرات و السيرة الذاتية و الفرق بينهما.....

2-2- وصف مذكرات شاهد للقرن "مالك بن نبي"..... ص15

الفصل الثاني :

الأبعاد المكانية الموجودة في مذكرات شاهد للقرن "مالك بن نبي"

1-الأمكنة الموجودة في القسم الأول(الطفل)..... ص20

1-1-مدينة قسنطينة.....

1-2-المدرسة (قسنطينة).....

1-3-المقهى (قسنطينة)..... ص25

1-4-مدينة افلو.....

2- الأمكنة في القسم الثاني (الطالب)..... ص29

2-1-المنزل (فرنسا).....

2-2-مدرسة اللاسلكي (فرنسا).....

2-3-النادي(فرنسا)..... ص30

2-4-الحي اللاتيني (فرنسا)..... ص31

خاتمة..... ص40

قائمة المصادر و المراجع .....

مقـــــــــدمـــة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيِّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ مَن اعتز به فلا يضام، وذلَّ مَن تكبر عن أمره ولقي الآثام

إن المكان ليس مجرد عالم مادي نعيش فيه و يحيط بنا بل يتجاوز ذلك إلى ما هو أعمق حيث هو الذي يحوينا ويستوعب ذواتنا و أفكارنا و كذلك يحتضن علامات ثقافتنا و ما نعيشه داخله من أحداث و مواقف تظل معالمها مغروسة و محفورة فينا و في لا وعينا. و عندما يذكر أمامنا أو يطفو على سطح ذاكرتنا مكان ما فانه يأتي مسرعا و معه إيحاءات و نتوءات و قيمات دالة و مميزة داخل نفوسنا لا يهدف بحثنا هذا إلى التأسيس النظري للمكان و تعريفاته المتعددة عند الفلاسفة والمفكرين بقدر ما يعمل على تسليط الضوء إلى دراسة جديدة للمكان في المذكرات أو السيرة الذاتية واستخراج أهم الأبعاد المكانية(لمذكرات شاهد للقرن) لصاحبها مالك بن نبي .

والذي أدى بنا لاختيار هذا الموضوع هو تفرده عن سائر المواضيع التي سبقت و درست المكان في الرواية خاصة ،إلا أن بحثنا يدرس المكان في المذكرات و كذلك لا ننكر تأثرنا بالمفكر و العالم الجزائري مالك بن نبي و أفكاره الحضارية التي كانت واحدة من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع الذي نعتبره و بدون شك شيق للدراسة و البحث و الغوص في أعماقه .لذلك قررنا دراسة هذا النوع من المواضيع و المحاولة قدر الإمكان أن نجيد فيها و نستخرج أهم الأبعاد المكانية في المذكرات واكتشاف أبعادها المتعددة و تأثيرها على نفس الكاتب (مالك بن نبي) و من هنا سنطرح جملة من الأسئلة ونحاول الإجابة عليه في بحثنا هذا .

ما مفهوم المكان وما هي أهميته في العمل الأدبي؟

ما هو الفرق بين المذكرات والسيرة الذاتية؟

و كيف تم تصوير المكان في الكتاب (مذكرات شاهد للقرن)؟

ماهي أهم الأبعاد المكانية الموجودة في مذكرات شاهد للقرن؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا أن يكون بحثنا تحت عنوان: **الأبعاد المكانية في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي أي أننا** سنستخرج المهم من الأمكنة السائدة في الكتاب و نحاول شرحها حسب ورودها و كذلك حسب نفسية الكاتب التي أطرت المكان.

فبناءا عن ما سبق يتضح لنا أن واحد من اقرب المناهج النقدية التي يمكن أن يتضح من خلالها موضوع دراستنا هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يسمح لنا بتحليل النتائج و تفسيرها و استخلاص الاستنتاجات المتعلقة بالدراسة

و بعد ذلك قمنا بتقسيم البحث كالآتي:

بعد مقدمة البحث جعلنا **الفصل الأول في دراسة أهم المفاهيم المتعلقة بـ:** البعد المكاني في المذكرات، ففي المبحث الأول تناولنا: البعد المكاني وأهميته في العمل الأدبي. **المطلب الأول** المكان لغة و اصطلاحا **و المطلب الثاني** البعد لغة و اصطلاحا أما **المطلب الثالث** أهمية المكان في العمل الأدبي و **المبحث الثاني** بين المذكرات و السيرة الذاتية حيث في **المطلب الأول** تعريف المذكرات و السيرة الذاتية والفرق بينهما و **المطلب الثاني عبارة عن** وصف لمذكرات مالك بن نبي

و في الفصل الثاني تناولنا أهم الأبعاد المكانية الموجودة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي و قسمناه إلى مبحثين ففي المبحث الأول استخراج لأهم الأمكنة في القسم الأول (الطفل) وتضمن هذا المبحث أربعة مطالب **المطلب الأول** مدينة قسنطينة و**المطلب الثاني** المدرسة (قسنطينة)و **المطلب الثالث** مقهى (قسنطينة) و**المطلب الرابع** مدينة افلو، وفي **المبحث الثاني أيضا استخراج** لأهم الأمكنة في القسم الثاني (الطالب)و فيه أربعة مطالب، **المطلب الأول** المنزل (فرنسا)و**المطلب الثاني** مدرسة اللاسلكي (فرنسا) و**المطلب الثالث** نادي (فرنسا) أما **المطلب الرابع** الحي اللاتيني (فرنسا) **ثم خاتمة** تناولنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث كما نذكر أيضا صعوبة إيجادنا للمصادر و المراجع لأنه حسب ما اطلعت عليه من دراسات سابقة لم نجد دراسة اتخذت هذا المسار من البحث ، أي دراسة المكان في السيرة أو المذكرات فكل الدراسات التي

وجدت كانت عبارة عن التطرق للفضاء أو المكان في الرواية أو الشعر دون باقي الأجناس الأخرى كالسيرة الذاتية التي من الأجدر أن يدرس المكان فيها معمقا لأنه و بدرجة أولى مكان حقيقي و موجود فعلا و نجد أن له خلفية نفسية بارزة و له عدة أبعاد تخص السارد أو صاحب المذكرات أو السيرة مما يجعله مادة دسمة للدراسة و التعمق فيها

لا ننسى أن هناك بعض المصادر والمراجع التي أفادتنا في الجانب النظري

*غاستون باشلار جماليات المكان ترجمة غالب هلسا

*يوري لوتمان مشكلة المكان الفني ترجمة سيزا قاسم

*إستراتيجية المكان لمصطفى الضبع

*فتيحة كحلوش بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري

و في الأخير لا يسعني إلا القول أننا حاولنا قدر الإمكان الإيجاد في هذا الموضوع رغم كل الظروف كما نتمنى أن نكون قد وفقنا فيه كما أتقدم بالشكر لكل من ساهم بالمساعدات اللازمة لانجاز هذه الثمرة المتواضعة

الفصل الأول:

البعد المكاني في المذكرات

المبحث الأول: البعد المكاني وأهميته في العمل الأدبي.

المبحث الثاني: بين المذكرات والسيرة الذاتية

1- المبحث الأول: البعد المكاني وأهميته في العمل الأدبي.

1-1- المطلب الأول:مفهوم المكان: لغة واصطلاحا

- **لغة:**

ننطلق أولا من القران الكريم، إذا وردت لفظة مكان في عدة مواضع تنتج دلالات ومعاني متنوعة منها:

قوله تعالى: " **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**"[1] وورد المكان هنا بمعنى المستقر، كما وردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى: "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا"[2].

أما في المعاجم اللغوية العربية فنذكر ما ورد في **لسان العرب لابن منظور**

المكانة ، " التودة وقد تمكن ومّر على ميكنته أي تودته وقال الفداء لي في قلبه مكانة وموقعه ومحله ويذهب ابن سيده إلى المكان الموضع والجمع أمكنة وآماكن جمع الجمع-[3]-"

و في المعجم الوسيطّ: المكان الموضع ومنزلة يقال هو رفيع المكان (ج) أمكنة والمكانة المكان بمعنييه السابقين وفي التنزيل العزيز ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي موضعهم [4]ففي التعريفات اللغوية، نجد أن المكان يدور حول مفاهيم الموضع ومنزلة والمحل وهذا يدل على الاتفاق من ناحية التعريف اللغوي وكذا حسب وروده في القران الكريم .

و قال الزبيري: " المكان، الموضع الخاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين انه عرض، وهو اجتماع جسمين حاوي ومحوري، وذلك لكون الجسم الحاوي محيطا بالمحوري، فالمكان عندهم هو المناسبة بين

---

[1]- سورة مريم الآية 16.

[2]- سورة مريم الآية 57.

[3]-ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المصور الانصاري، **لسان العرب**، مادة مكن، دار صادر، بيروت ، لبنان ، مج 6، ط1، 1997م- ص 83 .

[4]- المعجم الوسيط ،**مجمع اللغة العربية**، ط3، مطابع الاوفست، القاهرة، ج2 -1985 م ، ص 838 .

هذين الجسمين، وليس بالمعروف في اللغة"[1]

وعند ابن دريد: (المكان: مكان الإنسان وغيره والجمع أمكنة، ولفلان مكانة عند السلطان أي منزلة"[2]

و يورد الجرجاني آراء الحكماء والمتكلمين في المكان (المكان)، يقول: "المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس الظاهر للسطح من الجسم المحوري .....و عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينّفذ فيه أبعاده"[3]

من خلال هذه التعريفات نستنتج أن للمكان حدا واحدا، وهو الحاوي آو الكائن سواء أكان مدركا بالحواس أم بالذهن.

- **المفهوم الاصطلاحي**: اختلفت التعريفات حول المكان ، وكل يعرّفه حسب رأيه، فهناك من ينظر إليه على انه " وسط غير محدود يشمل على الأشياء "[4]، بينما يعطي غاستون انه وسط غير محدود يشمل على الأشياء "[5] أي المكان عنده يتمثل في البيت وعرّف ابرهام – أ – مول واليزبيث رومر المكان انطلاقا من فكرة مؤداها أن الإنسان هو مركز العالم وأن المكان يحيط به من جميع جوانبه في شكل قواقع متتالية[6].

---

[1]–تاج العروس عن جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق د. حسين نصار (مطبعة حكومة الكويت) 1394هـ – 1974 م. (مادة) مكن.

[2]–جمهرة اللغة لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي، دار الباز 1345هـ – ط1– ص103/1.

[3]–علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، طبعه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1403هـ–1982م–ص227.

[4]–بسام علي أبو بشير، **جماليات المكان في رواية "باب الساحة لسحر الخليفة** ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) جامعة الأقصى –غزة ، فلسطين ، مج 15 ، ع 2 –2007 – ص72.

[5]– غاستون باشلار ،**جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 3– بيروت ، لبنان ، ط1 –2008م ص 6.

[6]– كحلوش فتيحة ،**بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري**، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م – ص19.

ويعرف يوري لوتمان المكان على انه مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...الخ) تقوم بينها العلاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية (مثلا: الاتصال، المسافة...) ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة وهي إن نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنها مكان يجب أن تجرّد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ماعدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحسبان[1].

إن لكلمة (مكان) عدة دلالات، واقتحمت العديد من لميادين المعرفية فعلماء الفيزياء مثلا أكدوا على كون المكان متحركا، وذلك خلاف نظرية أرسطو فيه، و اثبت هذا الرأي كل من نيوتن واينشتاين، كما أكد هذا الأخير على نسبيته، وعده أيضا غير ثابت لإمكان تأثره بالجاذبية ، ولتغيير طوله عن تغيير سرعة الجسم بالنسبة للمراقب وبهذا يكون (المكان عند الفيزيائي ذاتيا لا واقعيا وهذا خلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين، أما المكان هندسيا فهو: " وسط غير محدود يشتمل على الأشياء" وهو متصل ومتجانس لا يميز بين أجزائه، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع..... وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشا عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد وهي الطول والعرض والارتفاع والزمان[2].

وكذلك بالنسبة لعلم الاجتماع حتى إن ابن خلدون قد وضع خصائص للمكان يجب مراعاتها عند إقامة أية مدينة من حيث صحة إقامتها وملاءمتها للمعيشة الإنسانية[3].

كما عرّف عالما الاجتماع ستوكولز وشوماخر (المكان) بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك، كما عد العلم الاجتماع (المكان) امتدادا للجسد ومعبرا عن قاطنيه، فوصفه المرء للاماكن وانتقاله

---

[1]- ينظر ، يوري لوتمان ، **مشكلة المكان الفني** ، ترجمة سيرا قاسم ،كتاب (جماليات المكان) لمجموعة المؤلفين ، ط 1 ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، 1988م – ص69.

[2]-ينظر، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 11 ، العدد 2 ، المكان والمصطلحات المقاربة له ، دراسة مفهوماتية ، د .غيداء احمد سعدون شلاش ، **كلية التربية للبنات** ، قسم اللغة العربية ، ص 244 – 245.

[3]-مقدمة ابن خلدون 282 – 288، (**جغرافية المدن عند العرب**): عبد العال عبد المنعم الشامي ، مجلة عالم الفكر ، مج 9 ، ع1 ، 1987 م – ص 123.

عبرها يسمح له بالتعبير عن القيم الفردية والجماعية لقاطني تلك الأماكن وصف حالتهم الاجتماعية[1].

أما علماء النفس فيؤمنون بان حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة من وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية[2].

و هذا المفهوم يتجلى عند دارسي الأدب كونه انه يعكس رؤية الأديب زيادة عن واقعية وجوده.

ووقف عند مصطلح (المكان) كذلك الفلاسفة المحدثون مختلقين في مفهومه، فعند ديكارت يمثل المكان: (الممتد في الإبعاد الثلاثة) وعند اسبينوزا ومالبرانس يمثل : (الامتداد الغير المتناهي) أما عند ليبنتز فهو : (نظام) ، جون لوك هو (فكرة لا محدودة) في حين نجد أن المكان عند هيوم (مؤلف من أنات ولحظات ونقاط منفصلة) وكل هذه التعريفات تقيد الدراسات الأدبية عموما في تعاملها مع مفهوم لمكان ودلالاته المختلفة التي تساعد أي باحث إلى تحليل النص والخوض في أعماقه لاكتشاف إسراره وحل شفراته ، كما تساعد أيضا في بحثنا خذا حتى نفهم معاني المكان من عدّة نواحي ونلّم بجميع جوانبه[3].

و من تعريفات المكان نجد انه " مكون محوريا في السرّد بحيث لا يمكن تصور حكاية دون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك إن كل حديثا يأخذ وجوده في مكان محدود وزمن معين [4] " إذ يعد المكان عنصرا أساسيا في أي بناء سرّدي سواء كان قصة أو رواية أو سيرة.

أما المكان في الأدب ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبعاد هندسية وقياسات خاضعة لحساب ما ، بل هو في الأدب يتشكل من خلال تجربة الإبداعية انطلاق واستجابة لما عاشه وعايشه الأدبي ، ماثلا تفاصيله ومعالمه أو ملامحه وظلاله ، ولقد لعب المكان في الحياة الإنسان منذ القديم ولا يزال

---

[1]-ينظر، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 11، العدد 2، ص 246.

[2]-ينظر ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[3]-ينظر ، المرجع نفسه ص 248.

[4]-محمد بوعزة ، تحليل النص السّردي ، **نقيضات ومفاهيم**، دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010م ، ص 99.

دورا أساسيا ، تجلى أثره في تشكيل وجدانه على نحو معين ، ووسم حيّا بسمات خاصة ، تركت أثارها في تحركاته وسكناته وأكثر ما تجلى هذا التأثير في الأدباء على مرّ العصور بحكم أنهم يمتلكون المقدرة على إعادة إنتاجهم وإكسابه إمكانية التجدد والتواصل ، غير أن الحضور في التجربة الإبداعية يفقده بعضا من خصوصيته الواقعية ويزوده بجملة من الخصائص المجازية التي ترتكز أساسا على ذاتية الأدبي وتتعدى مما يستوجبه من فضاء التجربة المعين ، ومناخ الإحساس الذي يصاحبه أينما حل وارتحل ، لذلك يتولد المكان من التجربة الإبداعية للأديب نابعة من واقع عاشه بكل لحظاته وبكل تفاصيله[1] .

كما أن المكان "سلسلة من الأنماط الشيئية المتوزعة التي تحتل حيزا، ولها أبعادها وخصائصها المادية، ففهم المكان قائم أولا على الخبرة والتجربة، أن نفهم المكان يعني أن نجربه ، وبذلك يصبح المكان إطارا للأشياء، ينطوي عليها ويبرزها ويصبح التعبير مكانيا تعبيرا عن خصائص الموضوعات المادية المحيطة بنا التي سرعان ما تتكوّن صلاتنا بها[2]".

1-2- المطلب الثاني: تعريف البعد.

- **لغة:** ويعرف ابن منظور البعد في معجم لسان العرب المحيط، البعد: خلاف القرب، بعد الرجل، بالضم، وبعد، بالكسر، بعدا وبعدا، فهو بعيد وبعاد، عن سيبوبه، أي تباعد وجمعهما بعداء.

وفي الصحاح : وفي البعد، بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم، وأبعده غيره وباعده، بعده تبعيدا [3].

- **اصطلاحا:** فالبعد يتخذ عدة اتجاهات خاصة عندما يتعلق الأمر بالعمل الأدبي عامة والعمل الروائي خاصة، ذلك أن هناك أبعاد تختلف حسب استعمالها، وللمكان أبعاد لا يمكن التغاضي

---

[1]-بورقبة خالد ،**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة العربي بن مهيدي** ، ام بواقي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، تخصص ام بواقي أدب عربي حديث ومعاصر ، كلية الادب واللغات 2019م ، ص 13.

[2]-طاهر عبد المسلم ،**عبقرية الصورة والمكان** ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان/ الأردن 2002م ،ص 16.

[3]-ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،**لسان العرب المحيط** ، قدم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من كلمة ، يوسف خياط ، دار الجيل بيروت ، دار لسان العرب ، بيروت، مج 1 ، ص 231.

عنها، فهناك، البعد الفيزيائي الذي يبدو أول وهلة اقل تواجدا أو تدخلا في تشكيل الأمكنة، بسبب فقدان الصلة المباشرة بين الأمكنة المشكلة من عناصر قابلة للإبصار في الطبيعة.

– **البعد الجغرافي**: الذي نلمسه عبر مستويين: الأول نجده فيما يعمد إليه الأدب من وصف تضاريس الأمكنة وتقرير طبيعتها وأشكالها وفق التسمية الجغرافية والجيولوجية (سهل، جبل، نهر، بحر....) والثاني: ما نجد الكاتب من ذكر الأماكن والمناطق بأسمائها المطابقة للأسماء على خارطة الواقع ، قاصدين بذلك جملة من الغايات الفنية والفكرية، ينتظمها غالبا طلب المزيد من الإيحاء بواقعية المكان المسمى[1].

– **البعد الزمني التاريخي**: إن هذا البعد يوسع دائرة العمل الأدبي ويرقى به من المحلية إلى العالمية ، ذلك إن المكان الأدبي لا لمقدم دلالاته من ذاته ، وإنما متواشجة مع عنصر الزمان.

– **البعد الفلسفي الذهني**: نشا هذا البعد من خلال نزع الألفة، عن المكان الفني، باعتبار الفن الشكل الأكثر اكتمالا لمفهوم نزع الألفة، فيحنقن المكان بعناصر ذهنية وفلسفية ستسرع اختياره لتقيمه فنيا من جانب وتكسبه قيما جمالية وفكرية، تسهم في إغناء العمل الفني وشحنه بالثراء والعمق من جانب أخر[2].

– **البعد النفسي والاجتماعي**: لا يمكن اعتبار المكان مجرد حيّز أو فضاء، أو خلاء يمارس فيه حياته فحسب وإنما هو " مكان ثقافي أي إن الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس وينظمها لا عبر توظيفها المادي المعيشي وحسب، بل عبر إدخالها في نظام اللغة .... التي تحمل الأشياء في الوقت ذاته دلالات ايجابية او سلبية [3] ، والمتتبع الحقيقي لعلاقة الإنسان بالمكان تبين انه تكون في مكان

---

[1] ينظر _جوادي هنية ،صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الاعرج (أطروحة دكتوراه)إشراف د صالح مفقودة 2012-2013م

[2] -ينظر ، جوادي هنية ، **صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج**، (أطروحة دكتوراه) الآداب واللغة العربية تخصص ادب جزائري ، اشراق الاستاذة : صالح مفقودة ، 2012 م، 2013م ، ص 38.

[3] -قاسم سيزا واخرون ،**جماليات المكان** ، دار قرطبة ، الطبعة 2 1988- ص64.

معلوم، ثم ولد قي مكان سيشكل بداية علاقة حقيقة بالمكان، لترسم معالم شخصية تحت مؤثرات مكانية، فهو "ابن البيئة بأحداثها وتاريخها وهمومها.....

يتأثر بالحاضر والماضي حسب قربه أو بعده عنهما[1].

لذلك نجد أن كل عمل أدبي يستلزم إبراز دلالات نفسية واجتماعية أثرت في الأديب وهذه الدلالة تؤدي إلى التميز والفرادة.

- **البعد الواقعي الموضوعي**: نرى أن هذا البعد يلتزم به الأديب ينقل الواقع بكل موضوعية بعيد كل البعد عن الفلسفي، بحيث يهدف هذا البعد إلى احتواء الأمكنة الواقعية وتصوير معالمها بموضوعية كما هيا دون زيادة أو نقصان.

- **البعد الجمالي**: يقتصد به في الأدب إيجاد مسافة وجدانية واضحة فاصلة بين شخصية القارئ والعمل الفني، الذي يظهر بعيدا عن مجال تجارب القارئ، كما يعني التمييز بين الوهمي والحقيقي قي العمل، ويخضع البعد الجمالي لمعايير العصر، إلى جانب مغامرة واكتشاف الشاعري[2].

1-3- المطلب الثالث: أهمية المكان في العمل الأدبي:

إن المكان في العمل الأدبي جزء لا يتجزأ منه وكذلك جزء من الحدث إذ يعمل بين طياته دلالات تحاكي شيئا في ذات الكاتب أو حتى في الذات الاجتماعية، كما أن الأماكن تساعدنا في فهم الشخصية وما تفكر فيه، كما يعتبر المكان كالصندوق الذي نخزن فيه مشاعرنا أو أحاسيسنا العميقة وسنتحضر هذه الأحاسيس متى ما ذهبنا إلى المكان أو تذكرناه، كما تنشا علاقة بين الإنسان والمكان الذي نعيش فيه فيتأثر يبعضهما وبسبب هذا التأثر يمكننا إيجاد المعنى الخفي والكامل للدلالة المقصودة من توظيفه أو المعنى الذي يريد الراوي أن يوصله للملتقي ويقول ياسين النصير:

---

[1]-خرفي محمد صالح ،**جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر (أطروحة دكتوراه) جامعة المنتوري** ، قسنطينة ، الجزائر ، بإشراف أ ، د يحي الشيخ صالح ، 2005 – 2006 ، ص 111.

[2]-سعيد علوش ،**معجم المصطلحات الادبية المعاصرة** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1985 م ، ص 51.

"إن المكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة وإحساسا أخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه"[1].

فللمكان أهمية بوصفه ملموسا إذ يستطيع الكاتب أن يوظفه لتجسيد أفكار ورموز وحقائق مجردة محاولا تقريبها من الواقع، كما إن ذكر المكان في النص الأدبي كثيرا ما يوحي بشخصية قاطنيه لتأثيره وتأثره بوجودهم فالمكان يتم بناءه وفق نظر الشخصية التي تعيش فيه ذلك يعني وفق منظور الكاتب ووجهة نظره في السّرد فهو الذي يتحكم فيه إما أن يجعله موحدا أو متباعدا، كما يبني أيضا وفق منظور القارئ عند إتمامه للصورة الفضائية الأدبية في مخيلته فللمكان تأثيره خارج النص إذ يلعب دور المفجر لطاقات المبدع[2].

و منذ ذلك أصبح للمكان مكانة مهمة بل أصبح الجغرافية الخلاقة في العمل الفني، فيعتبر المكان الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتمارس فيه الشخصيات تحركاتها، كما أن المكان عبارة عن مرآة تعكس ما بداخل النفس، فالشخصية لا تكتسب مكانتها إلا عندما تتفاعل مع المكان المتواجدة فيه، فيتعدى مجرد خلفية للأحداث يتفاعل مع الشخصيات، الأحداث والزمن[3].

و العمل الأدبي عامة حين يفقد المكانية فهو خصوصيته وبالتالي أصالته[4].

---

[1]-ياسين النصير ،**إشكالية المكان في النص الأدبي**، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية ، بغداد ، ط 1 ، 1986 ص 5.

[2]-مصطفى الضبع، **إستراتيجية المكان**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر 1998 م، ص 70.

[3]-فريدة إبراهيم بن موسى ،**زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية "دراسة نقدية "**، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2012م – ص112.

[4]-غاستون باشلار ،**جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا ، ط3 ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ، 1987م ، ص 5-6.

2- المبحث الثاني: بين المذكرات والسيرة الذاتية.

2-1- المطلب الأول: تعريف السيرة الذاتية و المذكرات و الفرق بينهما

- **السيرة الذاتية:**

تعدّ السيرة الذاتية فعلا اجتماعيا أكثر من كونها شكلا أدبيا (الأنا) الذي يتوجه بخطأ به إلى القارئ مفترض، ليس من صنع الخيال، بل هو إنسان حقيقي، يوقع باسمه التزاما بقول الحقيقة (إلى حدّ ما) ويدفع معاصريه والأجيال القادمة إلي متابعة تفاصيل حياته، بغية إفادتهم وتعليمهم، ولا يقف دوره عند هذا الحدّ فقط، بل يسعى إلى تبرير أفعاله أيضا، نفسه أمامهم وإغرائهم (بفتنة تجربته)، أما (القارئ) فهو مدفوع في نفس الوقت برغبة إنسانية في معرفة (الآخر) من الداخل وبرغبة تاريخية تتمثل في مشاركة بني جنسه تجربهم المختلفة، مما يجعله في الوقت نفسه فرصة للتفكير في هويته الخاصة.

إن السيرة الذاتية ليست أثرا فنيا محض يشكل فيه المؤلف اللغة والتشكيل الأصلي محاولا التعبير عن ذاته بل تمثل واحدة من الطرق الأكثر تشددا وتدقيقا في نقل الحقائق.

وظهر مصطلح (السيرة ذاتية) عام 1800 م وذاع صيته سنة 1830 م للتعبير عن البعد الشخصي الظاهر في كتابة (...) ويلاحظ (جان بويون) إن الرغبة في سرد ماضيك، لانتابك، إلا حين يصبح الماضي بعيدا عنك، فعند ما يكون قريبا منك حينئذ، ربما تكتب رواية أو مرافعة ولا تكتب سيرة، والذكريات ليست حقيقية ولكنها إجراء عملي، لا توجد ذكريات جاهزة، بل نحن تقوم بعملية التذكير[1].

و السيرة الذاتية هي أن يترجم الكاتب عن نفسه وهي تفسير الحياة الكاتب بكل ما يكتنفها من ظروف وملابسات، مستعينا برسم الحركات الداخلية والتركيز عليها أكثر من الحركات الخارجية ، وينصح كاتب السيرة الذاتية أن يكتبها في وقت متأخر من حياته ، وينصح كاتب السيرة الذاتية أن

[1]-ينظر ، فيليب لوغان ،**الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور**، ترجمة : الأمين بن مبارك ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس ، 2008 ، ص 39.

يكتبها في وقت نتأخر من حياته، لان كتابتها مبكرا يضيع الكثير من الأمور والأحداث التي تحدث فيما بعد وتنتهج السّيرة الذاتية غالبا الأسلوب القصصي[1].

يقول الدكتور جونسون (1709 – 1784) بأنه لا احد مؤهلا أكثر من الشخص نفسه ليكتب سيرته وهذا القول بحاجة إلى نقاش، فالمطلوب من الذي يكتب سيرته بنفسه أن يتصف بعدة أمور منها:

1-ذاكرة قوية تسعفه في وصف الأحداث ونقل الأقوال والمواقف كما حصلت، وهذا قد لا يتأتى لكل الكتاب، خاصة أن العظماء لا يكتبون سيرهم إلا في المراحل الأخيرة من أعمارهم.

2-الموضوعية والصراحة بان يكون الكاتب حياديّا صادقا مع القراء فيما حصل له، خاصة الوقائع المتعلقة بحياته العاطفية والجنسية.

3-يحرص الذين يكتبون سيرتهم هلي تقديم صورة زاهية صافية لأنفسهم ويصفون الآخرين وبالذات آراءهم بأنهم كانوا على خطا أو جهلة أو ظالمين وغير ذلك من الصفات التي ينسبونها لأنفسهم، وهذا نراه في كثير من كتب السيرة الذاتية وإن كان هناك ميزة لتلك السير فهي أنها جزء من التاريخ، لذا يتوقع أن نجد فيها معلومات عن العصر الذي عاش فيه الكاتب[2] والجدير بالذكر هنا إن هذه الصفات نجدها عند قرائنا لسيرة مالك بن نبي (مذكرات شاهد للقران).

- **المذكرات:**

يرى دانيال كايزرغروبر أن مفهوم المذكرات ليس مفهوما لكل العصور، أي يختلف من عصر إلى آخر، فمن يقول (مذكرات) إنما يعني نظرة إلى الوراء أو على الأقل خارج النفس للبحث عن شهادة حول حقيقة زمنية : التاريخ، فرديا أو جماعيا أو تسلسل الأحداث، المذكرات يصنعها التاريخ في مرحلة أولى تحت شكل وقائع أو رسم للمجتمع أو شهادات، فالفكرة التي مفادها أن لكل إنسان

[1]-داود غطاشة الشوابكة ، مصطفى محمد الفار ، **دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية** ، ط2 ، عمان ، دار الفكر ، ناشرون وموزعون ، 2010م ، ص 129.

[2]-نواف نصار ،**معجم المصطلحات الأدبية**، عمان ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2011م ، ص 163.

تاريخيا ليست معاصرة لتلك التي ترى أن التاريخ يذكر فيه كل الناس هنا نتذكر: مذكرات تذوب في فكرة البحث الشخصي أو الاعتراف أو السيرة الذاتية ، وقد أصبح مفهوم المذكرات منذ (مذكرات ما وراء القبور) لشاتوبريان مؤسسا للتاريخ، وكان في مرحلة التأسيس كنوع أدبي مستقل ينتظر منه أن يتطور دخول بعض الأشكال من الاعترافات ذلك أن يتطور نحو بعض الأشكال من الاعترافات ذلك المذكرات صنفت كنوع أدبي كان في مرحلة تأسيسية ومستقل ينتظر منه أن يتطور نحو بعض الأشكال من الاعترافات من طرف كاتبها، كما نجد في الروايات التي جاءت على شكل مذكرات امتزاجا جدليا بين تحليل الصور التاريخية والاجتماعية الثقافية مثل (مذكرات شابة مستقيمة) لسيمون دي بوقوار عام 1958م، بعد ذلك استقل التاريخ وأصبح علما منذ بداية القرن العشرين لهذا لم تعد المذكرات تنافسه[1].

إن الفرق بين المذكرات و السيرة الذاتية هو أن المذكرات قبل أي شيء هي وصف للأحداث و تعليلها خاصة تلك التي كان كاتب المذكرات جزءا منها و له دورا فيها و عايشها من قريب أو بعيد

أما السيرة الذاتية هي أن تروى قصة حياة كاتب ما و تجسد خبراته و انجازاته بالدرجة الأولى.

2-2- المطلب الثاني: وصف الكتاب: مذكرات مالك بن مالك بن نبي.

كتاب يحمل عنوان مذكرات شاهد للقرن و هو مذكرات لصاحبه مالك بن نبي و يتكون الكتاب من قسمين، كل قسم منهما يحكي قصة بن نبي في مرحلة من مراحل حياته الاجتماعية والفكرية ،فالقسم الأول :يحكي مرحلة الطفولة و مطلع الشباب الممتدة من عام 1905م حتى 1930م و قد سمي هذا القسم "الطفل"، يتحدث فيه المؤلف عن طفولته المبكرة و دراسته في تبسة و قسنطينة ثم سفره القصير إلى فرنسا و عمله في وظيفة عدل و غيرها في تبسة و افلو

أما القسم الثاني: يحكي فيه مرحلة دراسته ففي فرنسا ،الممتدة من سنة 1930م إلى 1939م و قد سماه المؤلف بالطالب ، يتحدث فيه عن حياته الدراسية و الفكرية و كذا النضالية أثناء مكوثه

[1]-ينظر ، عز الدين المناصرة ، الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة ، قراءة مونتاجية ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الأردن ،عمان ، ط1 ، 2010 ، 53 – 54 .

بباريس ، و زياراته للحي اللاتيني و تعرفه على وجوه الحركات الوطنية الحقيقية و المزيفة من الجزائريين و غيرهم .

صدر الجزء الأول من الكتاب باللغة الفرنسية عام 1966م وسماه مؤلفه (الطفل)و قام بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذ مروان قنواتي فصدر في 1969م، ثم اخرج المؤلف الجزء الثاني من الكتاب بالفرنسة و قام بترجمته بنفسه إلى العربية في بداية السبعينات وسماه "الطالب"

بعد ذلك طبع القسمين في كتاب واحد ، بالاعتماد على ترجمة المؤلف في الجزء الثاني منه و ترجمة الدكتور عبد المجيد النعنعي و صياغة عمر مسقاوي في الجزء الأول منه، كما قامت دار الفكر المعاصر في لبنان و دار الفكر في دمشق بإصدار الكتاب بنسخته الشهيرة في بدايات الثمانينات و تمت طباعته أكثر من مرة

في مقدمة الكتاب يأخذنا مالك بن نبي و الذي يلقب بالصديق إلى نسج خيالي رائع حول ذهابه إلى المسجد لأداء صلاة العصر و إيجاده رزمة من الأوراق بجانبه عند إكماله للصلاة ، و إذا به يفتحها و يجدها عبارة عن مذكرات لرجل يدعى" صديق "بعنوان مذكرات شاهد للقرن و هو من مواليد 1905م ، و بعد ذلك فكر بإرجاعها لصاحبها عن طريق نشرها ،ربما كانت هذه رغبة صاحبها فنجد أن هذه المقدمة المثيرة استهل بها القسمين الموجودين في الكتاب.

الفصل الثاني:

الأبعاد المكانية الموجودة في مذكرات

شاهد للقرن مالك بن نبي

المبحث الأول: الأبعاد المكانية في القسم الأول الطفل

المبحث الثاني: الأبعاد المكانية في القسم الثاني الطالب

- **تمهيد:**

قبل أن نتطرق إلى الأبعاد المكانية الموجودة في الكتاب تجدر بنا الإشارة إلى أن المكان في المذكرات ينقسم إلى اثنين. القسم الأول (الطفل) والقسم الثاني (الطالب) فالمكان وطبيعته في القسمين مختلفين عن بعضهما البعض على الرغم من أن السارد واحد ويرجع ذلك إلى الظروف المعيشية والأحداث التي وقعت، فالقسم الأول كان المكان الطاغي عليه هو المكان الطفولي الذي تربى فيه ومارس عاداته و كذلك استوحى منه أفكاره التي تغير فكره تدريجيا فيما بعد و تحوله من طفل بسيط إلى عالم ذو أفكار نيرة و عظيمة. باستطاعتها تغيير مجرى أي حياة،بينما القسم الثاني يتحدث عن فترة شبابه و دراسته في الخارج فبذلك تختلف بعض الأمكنة في القسمين.

– لقد صنفنا الأمكنة التي في الكتاب إلى قسمين على حسب الأماكن السائدة و التي تم ذكرها بكثرة و الحاملة لدلالات و أبعاد،ثم بعد ذلك نوضح كل مكان و البعد الذي يحمله وبذلك نستنتج ماهي الأبعاد التي تم ذكرها في السيرة الذاتية، مع الإشارة بأن هناك أماكن متكررة في القسمين (الطفل– الطالب)

– تم تصوير المكان في الكتاب (**مذكرات شاهد للقرن) مالك بن نبي** على وجه الحقيقة مع إضافة جمالية في التصوير و فيها إيحاء، فكل مكان في السيرة الذاتية له خلفية مؤثرة في نفس الكاتب و نلمس ذلك من خلال طريقة سرد الأمكنة ووصفها في السيرة الذاتية حيث يختلف عن الوصف المكاني في الرواية ، لأن في الأول يكون المكان حقيقي و موجود فعلا بينما في الثاني يمكن أن يكون من مخيلة الروائي و له دلالات خاصة وإيحاءات من نسج الخيال و لها جماليات خاصة تطلق بدورها العنان لفكر القارئ .

الأمكنة السائدة في القسم الأول (الطفل)	الأمكنة السائدة في القسم الثاني (الطالب)
- المسجد - مدينة قسنطينة - مدينة تبسة - الزاوية - المدرسة(قسنطينة) - مقهى (قسنطينة) - الشارع (قسنطينة) - الريف - مدينة (آفلو)	- المسجد - المنزل (فرنسا) - مدرسة اللاسلكي (فرنسا) - نادي (فرنسا) - الحي اللاتيني (فرنسا) - مدينة مرسيليا - نادي (بمرسيليا)

المبحث الأول: الأمكنة في القسم الأول (الطفل).

- **المسجد:**

المسجد هو أول مكان نصادفه عند قراءتنا لسيرة بن نبي هذا المكان الغني عن التعريف والحامل لعدة دلالات وإيحاءات تختلف حسب الكاتب واستعماله لها، فالمسجد مكان واحد إلا أنه حامل لعدة أبعاد تستقطبه ، لذلك نجد أن أول بعد لهذا المكان هو النفسي(الروحي) حيث اتخذه بن نبي كمكان للراحة والطمأنينة و حتى يشعر بالسكينة داخله و العزلة عن الناس ليستمع إلى ذاته و يفهم و يتأمل في مدركات الحياة. نجد هذا في قوله (لكل امرئ ما تعود، ومن عادتي في بعض الأحيان أن أؤدي صلاة العصر في المسجد، حينما يخلوا من الذين أدركوا الصلاة وراء الإمام في وقتها، المكان شبه خال إذن،وكنت أختار هذه الساعة بالذات لأستجمع نفسي في سكينة المسجد[1]

أما البعد الثاني لهذا المكان هو التاريخي بحيث ذكر المسجد على أنه كان في وقت الاستعمار وطوال قرن كاتدرائية المدينة (قسنطينة) واسترجع فيما بعدو أصبح مسجداً في قوله (كان ذلك في مسجد قسنطينة المسترجع بعد ما ظل طوال قرن كاتدرائية المدينة، و كنت قد عدت إلى الجزائر منذ ثلاثة أيام أو أربعة و قد مضى على التحرر سنة كاملة، عندما خلعت حذائي متأهبا لدخول المسجد، ألقيت نظرة فاحصة داخله، يتحدث بتاريخه أكثر مما يتحدث عنه طراز بنائه. و اخترت ركنا في داخل المسجد بجانب المنبر القديم نائيا بنفسي عن ضجيج الشارع و كانت أشعة الأصيل تتسرب من خلال الزجاج بين أعمدة المسجد)[2] و أن هذا المكان بناؤه ذو طراز عتيق و حامل لتاريخ المدينة مما جعله يتحدث بتاريخه أكثر من طراز بنائه ، والبعد الثاني للمسجد هو البُعد الديني، فهو المكان للعبادة و الصلاة و قراءة القرآن و مناجاة الرب والتفقه في الأمور الدينية، قوله(في المساء كان الناس يتجمعون

[1]-مذكرات شاهد للقرن، ص13.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في ألف ليلة و ليلة أوسيرة بني هلال، أما من كانوا يفضلون البقاء في المسجد بعد صلاة العشاء فكانوا يستمعون إلى ما يلقي الإمام من دروس..)[1]

- **الريف:**

نجد البعد نفسي للمكان (الريف) حيث بن نبي استهواه هذا المكان منذ الصغر وكان يتمنى أن يعيش في منطقة ريفية ويكون له أرض زراعية و مزرعته الخاصة وأغنامه و أن يتنعم بهذه الحياة البسيطة و المريحة، فهذا الحلم ظل يراوده لفترة من الزمن، نجد هذا في قوله(كنت أريد أن تكون لي أرضي و مزرعتي و أبقاري وأغنامي، و أن أشتم رائحة الاسطبل و الزرائب، ذلك هو الحلم الذي داعب مخيلتي في تلك الفترة من حياتي، و إذا كانت أرض الجزائر ترفض أن تحقق لي أمنياتي فدون لك تمبوكتو وأستراليا أذهب إليهما، و كثيرا ماكانت أراضي المعمرين الفرنسيين تحملني على التساؤل: أين هي أرض أجدادي؟...[2]

1-1- المطلب الأول: مدينة قسنطينة:

مكان تم ذكره عدة مرات في القسم الأول خاصة هذه المدينة الذاخرة بمعالمها وتاريخها وآثارها الحاملة لعدة دلالات، كما تحمل في طياتها عدة اتجاهات فكرية وثقافية، و هي إحدى المدن الجزائرية القديمة و سميت بعدة أسماء: كمدينة الجسور وعاصمة الشرق الجزائري و أصبحت المدينة عاصمة للثقافة العربية، و هي مركز النهضة الثقافية الجزائرية المعاصرة، و معروفة بكونها مدينة الفن و بلونها الغنائي الأندلسي الأصلي (المألوف)[3]

– قسنطينة هي مدينة ولد فيها مالك بن نبي و عاش سنوات الأولى من عمره هناك، ثم انتقل بعد ذلك إلى تبسة، فأول بعد يتضح إليها من خلال سرده لأحداث حياته في هذه المدينة هو البعد التاريخي، لأنه في البداية يحكي لنا عن وقت الاستعمار أي الوقت الذي ولد فيه و عاش فيه و كذلك

[1]–المرجع نفسه،ص 28.

[2]–**مذكرات شاهد للقرن**، ص 119/118.

[3]–ينظر– كتابة سميحة ناصر خليف– **مدن عربية**– mawdoo3.com.

يحكي كيف دخل الفرنسيون مدينة قسنطينة و بذلك اضطرت العديد من العائلات ترك المدينة (ففي ذلك اليوم لم يعد لعائلات قسنطينة من هم، سوى إنقاذ شرفهم و خاصة تلك العائلات التي تكثر فيها الصبايا ، فقد أخلوا المدينة من ناحية وادي الرمل ..... و بعد سنوات عديدة قامت بزيارة مكة المكرمة لتعود بعدها مع زوجها و أطفالها إلى الجزائر. إنها الآن ميتة ولكن قصتها المحزنة ما تزال حية....)[1]

(لقد كان لمعركة --- نيل في قسنطينة دوي كبير خاصة في الوسط اليهودي فالقيادة الفرنسية كانت حذرة أن يشترك الرماة الجزائريون في المعركة فاختارت لذلك الميدان فرقة الزوارق التي يكثر اليهود فيها

لقد لف الغلاء الحياة في المدينة فهدم طبقة قديمة تعيش على موارد الأرض والحرف التقليدية، و رفع على أنقاضها بفضل المضاربة طبقة من الأثرياء الجدد تعيش على التجارة لقد آذن ذلك العصر بأقوال نجم العائلات القديمة لقسنطينة وأضحى الخط الاقتصادي الجديد يفرض تحولا في العقلية و في مظاهر الحياة...)[2]

فمن خلال هذا السرد يتضح البعد التاريخي لمدينة قسنطينة حيث رصد لنا مالك بن نبي فترة من الزمن الذي عاشته هذه المدينة وما كان يدور من أحداث آنذاك ، نجد البعد الحضاري و الاجتماعي أيضا في قوله (لقد تركت قسنطينة: أمي بهيجة وجده و كلبه بأسى شديد و لكني حملت معي من تلك الإقامة فائدة واحدة فالأمور بدأت تتصف في تفكيري و ذاتي

ففي تبسة أرى الأمور من زاوية الطبيعة و البساطة أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع و الحضارة واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا وأوروبيا في آن واحد.....)[3].

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص16/15.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص34.

[3]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص36.

- **تبسة:**

هي أحد المدن الجزائرية و انتقل بن نبي إليها بعد وفاة عمه الأكبر الذي تبناه في الصغر أي انه السبب الذي جعل زوجة عمه تعيده من قسنطينة الذي ولد فيها إلى تبسة حيث يسكن أهله، هذا الظرف الذي أثر في نفس مالك بن نبي لذلك نجد البعد النفسي لهذا المكان، لكنه سرعان ما تأقلم مع الوضع و انغمس مع أقاصيص وحكايات جدته لأمه التي كان محورها العمل الصالح و ما يليه من ثواب فتلك الحكايات كانت تنمي فكر مالك بن نبي و تكونه دون درايته بذلك، و رغم ميل مالك بن نبي إلى مدينة قسنطينة إلا أن تبسة نجحت هي الأخرى في استقطاب تفكيره وأضافت له الكثير في ذاته و طبعت أفكارا في نفسه حيث قضى أهم فترة من طفولته في هذه المدينة (تبسة) فنجدها حاملة البعد النفسي و الثقافي و الاجتماعي كذلك

(لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة، و كان قد تبناني منذ أمد بعيد، مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها و نفسي، لقد فعلت ذلك لآن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي و على هذا فقد انضممت إلى زمرة أطفال تبسة، و في هذا الوسط الجديد في عائلة مفرطة في الفقر أخذت أتعرف إلى جدتي لأمي، وسمعت الكثير من أقاصيصها و حكاياتها التي كان محور العمل الصالح و ما يليه من ثواب و عمل السوء و ما يتبعه من عقاب و كانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري فمنها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي..)[1]

- **الزاوية:**

هي من الأماكن التي ذكرت في المذكرات في القسم الأول (الطفل) و هي عبارة عن مكان أو معهد للتعليم القرآني و الديني و موضع معد للعبادة و الإيواء و إطعام القاصدين، و دار مجانية للضيافة، و من الواضح أن لهذا المكان عدة أبعاد نجد البعد الإنساني ، ديني و الاجتماعي و التربوي

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص19/18.

ذلك أن هذا المكان يعلمك كيف تعبد الله و تتقيه و تساعد المحتاجين و عابري السبيل و كل هذا نجده مغروسا في نفس مالك بن نبي و تفكيره أي أن هذا المكان له تأثير عليه و نما تفكيرا معينا وخاصا فيه هذا من جانب البعد الإنساني، أما البعد الديني فهو واضح لما يتم من طقوس دينية في الزاوية و ترتيل للقرآن الكريم و الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة و التسليم (هكذا بدأت مرحلة جديدة من طفولتي كان أول ما فعلت في الصباح أن تعرفت على جدي الذي أصبح صديقا لي بسرعة، فقد أخذ يطلعني على معالم المدينة، ويقودني أحيانا على الزاوية العيسوية التي كان أحد أركانها، و كانت تحي كل سبت حلقة من الذكر تعرض فيها الكرامات المدهشة و العجائب..)[1]

(...و إن من ذكريات تلك الأيام ما لا يزال في مخيلتي فقد كنت كباقي التلاميذ أغسل كل صباح لوحي الحجري في بركة ماء صغيرة، تقع عن زاوية المدرسة ومتى تشبعت مياه البركة بذلك الحبر الذي كنا نكتب فيه هو و الصماغ و كان المعلم يصنعه عادة بنفسه مستعملا دهن الخرفان كنا نعمد إلى نقل المياه الملوثة بدلو لطرحها في مكان خاص، شربت و رفاقي مرة من هذه المياه الملوثة لاعتقادنا بأنها كانت تضم كلمة الله لقد كان قصدنا من ذلك نبيلا و مؤثرا فما أردناه هو أن نشرب كلمة الله المقدسة بالذات)[2] فالملاحظ من هذا المقطع هي تأثر بن نبي بالأفكار الدينية التي غرست فيه أثناء ارتياده الزاوية ،كما يتواجد داخل الزاوية الذاكرة

الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية

ومهامها التربوية التكوينية والاجتماعية

1-2- المطلب الثاني:المدرسة (قسنطينة): (بعد تعليمي/ فكري/ ثقافي/ ديني)

مكان ذو بعد تعليمي وثقافي حيث تعلم فيه (الصديق) وتثقف واكتشف من خلاله الكثير من الأشياء وتعرف على العديد من الأصدقاء...." فمن جهة عامة كان أساتذتنا الفرنسيون يصبون في نفوسنا محوا ديكارتيا، يبدد ذلك الضباب الذي نمت فيه العقلية الميثولوجية التي تتعاطف مع الخرافات

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص33.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص24.

النامية في الجزائر، ومن جهتي أنا فقد كان الأستاذ (بوبر يتيBobreiter) قد فتح لي آفاقا جديدة ولم يكن ذلك بفضل دروسه المقررة علينا كتاريخ الأزمنة القديمة والأدب الفرنسي. و إن كانت هذه قد تركت أثرا لا ينكر إنما بفضل توجيهاته فيما نقرأ من كتب، في الواقع فقد قرأت هذه السنة (التلميذ la disciple)ل(بيار بورجي) وهذه القصة فتحت أمامي عالم النفس الذي أتاح لعقل فتي كعقلي أن يتخلى عن شيء من أوهامه و سذاجته،و كان لهذا الاتجاه أن يأخذ بي أبعد من ذلك لولا دروس الشيخ (مولود بن موهوب) في التوحيد و السيرة النبي، و تلك التي للشيخ (بن العابد) في الفقه، فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح و من جهة أخرى كان الشيخ (عبد المجيد) يحلل في دروسه بعض نظراته في انحراف المجتمع و تجاوزاته الإدارة، و قد أذكى ذلك في نفوسنا تأييدا و حماسة.."[1]

من خلال قول بن نبي ندرك أن مالك بن نبي من خلال هذا المكان اكتسب العديد من الأفكار ويمكننا القول أن معرفته كانت علمية ثقافية فكرية و دينية، أي أن رغم ما كان يقرأ من كتب و يتبنى من أفكار إلا أنه حافظ على الطابع الديني الذي يميزه

1-3- المطلب الثالث:المقهى: (قسنطينة) (بعد ثقافي/ اجتماعي/فكري)

تم ذكر المقهى العديد من المرات إذ يحمل هذا المكان العديد من الأبعاد، أولهم البعد الإجتماعي حيث تتجمع سائر الفئات من العمر في هذا المكان وكل يمارس ما يحب في هذا المكان فهناك من يشرب القهوة أو الشاي وهناك من يلعب مع أصدقائه الدومينو أو الورق وهناك من يأتوا لغرض الحديث عما يدور من أحوال في الجزائر وخارجها و كهذا.

.."كنا نلتقي بما نقرؤه في أتون تلك المناقشات الحادة و المثيرة التي اعتدنا أن نجريها في مقهى بن يمينة، يعذبها من ناحية التيار الفكري الباديسي، و من ناحية أخرى تيار المدرسة الفكري...."[2]

[1] - **مذكرات شاهد للقرن**، ص66/65.

[2] **مذكرات شاهد للقرن**، ص88.

يغذيها

..."كانت تصل مقهى (بن يمينة) أخبار من أماكن أبعد، فكانت صحيفة (الشؤون العامة لقسنطينة al depeche de constatine) تتحدث عن أنباء الصين، لم تكن تدرك حقيقة ما يحدث غير أن أسماء جديدة أخذت تطرق آذاننا (كانتون و شنغهاي وكومنتانغ و تشانغ كاي تشييك..."[1]

..." لقد بدأت الآن عناصر جديدة تختلط مع الطلبة المدرسيين وتلاميذ الشيخ بن باديس في مقهى بن يمينة، و بذلك تتبلور الأفكار التي نسميها اليوم تقدمية. وكل ذلك يحدث بإسهام أولئك المواطنين العاديين من سائر طبقات المدينة الذين يأتون ليأخذوا حصتهم من الجدال و المناقشة...."[2]

فالمقهى فتح لمالك بن نبي آنذاك أفاقا و بعدا جديدا في عقله لما من أحداث تدور فيه و أشخاص يترددون إليه.

- **الشارع: (بعد اجتماعي).**

الشارع مكان ذكر في الكتاب على أساس أنه المجتمع القسنطيني آنذاك و ذكر من خلاله التغيرات التي سادت عليه أثناء الإستعمار خاصة في المدن، و بدأت تتغير الكثير من العادات و طريقة اللباس و حتى المخازن التي كانت تصنع السلع بدأت تقفل و أصبح الاستيراد من مرسيليا و البضائع الأوروبية هو السائد، حتى المقاهي و المتاجر و المطاعم استبدلت و أخذت وجها آخر مغايرا لما كانت عليه، مما أضفى على المدينة طابعا جديدا باستثناء بعض الشوارع و الأزقة التي بقيت محافظة على طبها القديم و مشكل حياة سكانها الأصليين، نجد كل هذا في قول مالك بن نبي "كثير من شوارع قسنطينة القديمة ما تزال محتفظة بأسمائها القديمة مثل رحبة الصوف و سباط شبارليه، مع أن تلك الجمعيات المهنية التي ازدهرت قديما و التي سمى الشارع بها اختفت منذ زمن بعيد، لقد بدأ

[1] المرجع نفسه،ص 94.

[2] المرجع نفس،ص107.

المجتمع القسنطيني يتصعلك من فوق، ويسوده الفقر من تحت، حتى ملابس الرجال شملها هذا التطور المتدهور: ففي شوارع قسنطينة بدأت تختفي العمائم و البرانس و الملابس المصنوعة من الأقمشة المطرزة...."[1]

1-4- المطلب الرابع: مدينة آفلو: (بعد نفسي/ اجتماعي).

..."كانت (آفلو) بالنسبة إلي مدرسة تعلمت فيها أن أدرك فضائل الشعب الجزائري الذي لا يزال بكراً، و كانت فضائله هذه بالتأكيد في سائر أنحاء الجزائر قبل أن يفسد منها الأستعمار، على وجه الخصوص كنت أجد نفسي بعض الشيء كأنني في متحف حفظت فيه تلك الفضائل، التي ضاعت في ناحية أخرى بسبب ذلك الاتصال المهين بالحدث الإستعماري، و لم أجد نفسي يوما أفهم الآية الكريمة كما فهمتها ذلك اليوم " إِنَّ اَلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوْهَا وَ جَعَلُوْا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنْ"النمل: 34/27. لست أدري إذا كنت قد فهمتها بهذا الوضع تلك اللحظة. لكن الذي استولى على ذهني فورا مع شيء من القلق. ذلك الخطر الذي يتهدد ما اؤتمنت عليه (أفلو) من فضائل دون أن يدرك السكان أنهم الأمناء عليها..."[2]

من خلال قول (الصديق) نجده متأثرا بهذا المكان الذي قاده القدر أن يشتغل فيه مدة من الزمن و يؤثر فيه تأثيرا عميقا، حيث وجد أن سكان هذه المنطقة مازالوا يحافظون على طيبتهم و كرمهم و فضائلهم على الرغم من الإستعمار، فهذه المنطقة كأنه لم يمسسها أي تغيير من المستعمر و تمنى مالك بن نبي أن تبقى كهذا لحرصه على حياة سكانها اللطفاء و الكرماء، لذلك نجد البعد النفسي جليٌّ وواضح والبعد الاجتماعي أيضا لهذا المكان.

- **الكنيسة:**

هذا المكان الذي كان له وقع على نفسية بن نبي على الرغم من أنه لم يذكر العديد من المرات في قوله "فحين كنت أمر بصحبة أختي الكبيرة أمام الكنيسة كنت أتطلع باستمرار إلى جرسها، إذ كانت

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص18/17.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**،ص174.

تتملكني فكرة لم أبح بها لأحد مطلقا، كنت أعتقد أن شقيقتي الصغيرة وردة التي لم أعرفها لأنها توفيت وأنا ما أزال رضيعا سجينة داخل الكنيسة، كما لو كانت كنزا سلب من أحد و أخفي في مكان أمين لا تصل إليه اليد..."

نجد في هذا المقطع البعد النفسي واضح بحيث أن هذا المكان أثر نفسيا على بن نبي و بطريقته الخاصة لأن لم يخبر أحداً من قبل عما كان يخالج نفسه منأفكار حول المكان و إحساسه اتجاهه و ربط بينه و بين أخته التي لم يراها و اعتباره المكان الآمن لحفظ الكنوز.

- **المسجد:**

مجددا وفي مقدمة القسم الثاني يذكر مالك بن نبي المسجد وذهابه إلى هناك، دليلا على تأثره بهذا المكان الروحاني وعلى بعد المكان الديني والنفسي، أي أن هذا المكان يبعث في نفس (الصديق) الراحة والاطمئنان لهذا ذكره في مقدمته دون سائر الأمكنة الأخرى التي كان من الممكن ذكرها ويقدم لنا من خلالها مذكراته، كما يوحي لنا هذا بعقلية مالك بن نبي الدينية التي تربى عليها وكبرت معه.

..."إن لكل امرئ خلالا يسلكها، و قد يحدث لي مما تعودت أن أصلي صلاة العصر في تلك اللحظة الجوفاء عندما يخرج الناس من المسجد بعد صلاتهم خلف الإمام، فأصلي وحدي....و المكان إذن ليس فيه أحد غيري، و أختار هذه اللحظة لأعتكف فيها...."[1]..

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص199.

2- المبحث الثاني: أهم الأمكنة في القسم الثاني (الطالب).

2-1- المطلب الأول: المنزل: (فرنسا).

تجد أن هذا المكان له بعد نفسي حيث كان بن نبي يتخذه كحيز للراحة والجلوس مع زوجته و قراءة القرآن و تبادل الأفكار بينه و بين زوجته الفرنسية التي اعتنقت الإسلام و نلمس كل هذا في قوله "....كانت الحياة المنزلية تبتدئ بالنسبة لي عندما أعود مساء من المدرسة فآخذ استراحة قصيرة أتناول في أثنائها كأس الشاي، أتجاذب الحديث مع (خديجة) حول القضية الجزائرية أوحول الدين، كان يروق لها، بعدما أصلي المغرب أن تستمع لما أتلوه من القرآن دون أن تفهم طبيعة الحال، غير انها تتذوق جرس التلاوة نفسها، و يحدث أن تطرح لهذا الصدد سؤال المريد المبتدئ أو تبدي رأيها في موازنة الإسلام و المسيحية بطريقة تفيدني أحيانا أو تلفت نظري إلى أشياء لا تفقد أهمية بالنسبة إلى من لا يحتقر الشيء البسيط بساطته، فقد لفتت نظري ذات يوم إلى أن الهرة (لويزة)، كانت إذا قفزت على المائدة لتحل مكانها على ركبتي مولاتها، و كان المصحف مفتوحا بيننا، نراها تتياسر أو تتيامن كأنها لا تريد أن تضع أقدامها على المصحف في طريقها..."[1]

2-2- المطلب الثاني: مدرسة اللاسلكي (فرنسا).

مكان ذو بعد تعليمي و ثقافي حيث غير هذا المكان فكر مالك بن نبي واتجاهاته من ضبط وملاحظة و نلاحظ ذلك من خلال أعماله و مؤلفاته و استعماله لصيغ علمية رياضية و رسومات هندسية للتعبير عن افكاره حيث أسكن هذا المكان في نفس مالك بن نبي سيطان العلوم حبس تعبيره... " و انطلقت يحركني أيمان الوارد على دين جديد، فكانت هذه الفترة الدراسية بالنسبة التي لا تقف عند حدود تهيئتي لدخول مدرسة اللاسلكي، بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري إذ إنها أسكنت في نفسي شيطان العلوم، و لم يكن الأب (مورو) قد فتح أمامي باب مدرسة معينة، بل فتح لي باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم وز الكيف، و يتسم في الفرد

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص274.

أول ما يتسم، بميزات الضبط و الملاحظة، و كنت بهذا الطريق أيضا، ادخل الحضارة الغربية من باب آخر، بعد أن دخلت من باب (وحدة الشبان المسيحين البارسيين)..."[1].

2-3- المطلب الثالث: نادي (الوحدة المسيحية للشبان البارسيين) بفرنسا.

مكان ذهب إليه مالك بن نبي صدفة أثناء تجوله في شوارع باريس بنية أن يتناول وجبة قليلة الثمن و إذا به يجد نفسه في نادي يخص الوحدة المسيحية للشبان البارسيين و طلب منه أن ينضم إلى النادي حتى يستطيع الحصول على الوجبة، فإنتسب مالك بن نبي و كانت تراوده الكثير من التساؤلات حول المكان و إذ به يجده مكان ثقافي تتجمع فيه سائر الثقافات و الديانات و يتناقشون فيما بينهم، و كذا حس بن نبي بأنه يواجه و لأول مرة في حياته اختبارا أخلاقي ثم أصبح بعد ذلك عضوا مسلما في الوحدة المسيحية، و يقر مالك بن نبي في مذكرات بعد أربعين سنة من عمره أن القدر ساقه إلى هذا المكان حتى يتكون فيه روحياً و حتى يجد مخرج لكل التساؤلات و المشكلات التي شغلته و أن حياته تغيرت في نفس اليوم الذي انضم فيه إلى النادي و بدأ صفحة جديدة في اليوم نفسه، فمن خلال كلامه يتبين لنا البعد الثقافي للمكان و الاجتماعي فقد اكتسب بن نبي الكثير من المعارف و الثقافات في هذا المكان الذي تم فيه تلاقح للثقافات و الديانات المختلفة.

....." لم أبصر أحدا في البداية، فوقفت مترددا في مدخل القاعة بينما يكاد الباب الذي دفعته ينغلق برفق من خلفي، وها هو ذا وجه يبرز من الجانب المظلم: ماذا تريد يا سيدي؟ و إذا الوجه الذي قال لي هذه الكلمات يبدو كأنما أضاء بابتسامته البشوشة مايحيطني: إني رأيت اللافتة قدام الباب و ثمن الوجبة، قلت هذه الكلمات بشيء من الخل بدده عني جواب صاحب الوجه: نعم سيدي، إذا أردت تتناول الوجبات هنا فيجب أن تنتسب ....آه: إذن ما هذا المحل؟ واستمر الشاب يبتسم في أثناء هذا الحوار ويجيب على سؤالي: هذه هي (الوحدة المسيحية للشبان البارسيين)، ففهمت الحروف المكتوبة على المصباح عند مدخل المحل، بينما استرسل الشاب: إن أردت الإنتساب

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص219.

لوحدتنا سأدلك.... هذه اللحظة كانت تعرضني لأول اختبار أخلاقي يواجهني في العالم الجديد الذي أصبحت أعيش فيه.."[1]

2-4- المطلب الرابع: الحي اللاتيني.

شارع فرنسا ساق القدر إليه مالك بن نبي أثناء وصوله إلى باريس حيث يوجد في هذا الحي تجمع للطلاب الفرنسين وبعض المثقفين الجزائريين وغيرهم من البلدان الأخرى ونجد في هذا المكان عدة عقليات وثقافات مختلفة و آراء متعدد و كل يحمل وجهة نظر سياسية خاصة به يدافع عنها كل ما تسنى له الأمر لذلك نجد هذا المكان من الأمكنة متعددة الأبعاد إذ يحمل البعد الثقافي و الإصلاحي و السياسي والإجتماعي أيضا و ذكر هذا المكان في القسم الثاني (الطالب) العديد من المرات

...." انني اليوم أرى هذا بكل وضوح، اما في تلك الفترة البعيدة فكان حسبي أن أدعو فقط، فدعوت في الحي اللاتيني للإصلاح و الوهابية و الوحدة المغربية أي للشعارات المختلفة التي كانت تغطي معنى واحداً (الإسلام)، و كان صدى تلك الدعوة يصل إلى جمهورية (تريفيز)، فلم يتخلف (مرسولين) الذي كان بوازع عرقه الزماندي لا يقعد حتى يصير كل فكرة عملا، عن إتخاذ التدابير لإنشاء مجلة شهرية توزع على الوحدويين لاحي اللاتيني و على أصدقاء جمهورية (تريفيز)، و لم تكن السيدة (دوفرانليو) الأم المربية لمرسولين لتتخلف بدورها عن تأييد كل مشروع خيري، فقدمت المساعدة المالية للمجلة فظهر عدد منها بتقديم من، وزع حتى في الجزائر..."[2]

فمن خلال هذا المكان بث مالك بن نبي بعض من أفكارها الحضارية والإصلاحية و حاول أن يغير بعض الآراء المغلوطة.

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص212/211.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص228.

- **المقهى (فرنسا):**

هذا المكان عبارة عن تجمع مع الأصدقاء يناقش فيه مالك بن نبي أفكاره مع أصدقائه المتواجدين معه في فرنسا عن الأوضاع السائدة آنذاك و الأوضاع في الجزائر و كذلك يتناقشون عن مواضيع ثقافية و فكرية و سياسية، لذلك البعد السائد لهذا المكان هو البعد الثقافي الإجتماعي و السياسي.

.."فإذا جئت باريس كنت بطبيعة الحال أقضي تلك الليلة إلى ساعة متأخرة ب(الهجار) المقهى الغربي الأول من نوعه بالحي اللاتيني الذي دشنه صاحبه الجزائري منذ أربع سنوات.... كنا نجتمع في هذه القاعة على مضض من صاحب المقهى، لأنه يفضل زبائن الدهليز بسبب الأرباح التي يدرها عليه، و كنت أتجاذب الحديث مع (حمودة بن ساعي) عن الوضع في الجزائر، و عن كتاب (مسينيون) عن (الحلاج) الذي كان موضوع الأخذ و الرد في تلك الفترة...."[1].

- **مرسيليا:**

مكان يذهب إليه مالك بن نبي بالباخرة ليقضي نهاره هناك في بعض الأحيان وكان بالنسبة له ذلك اليوم إجازة من المشكلات ومن البحث لحلولها عبثا، فكان عنده يوم سعيد يخلصه من مسؤولياته لذلك يحمل هذا المكان بعدا نفسياً، و تجدر بنا الإشارة إلى أن بن نبي يذهب فيما بعد إلى مرسيليا لفرصة عمل هناك في نادي من أجل تثقيف بعض الجزائريين المقيمين هناك و توعيتهم ..."لم تكن الطائرة وسيلة النقل العادية بين الجزائر و فرنسا ، فكان وصولي صباحا إلى مرسيلياعلى متن الباخرة يجعلني اقضي فيها النهار،و كان ذلك اليوم إجازة للمشكلات، لأن السفر يعلق التفكير فيها و يؤجله إلى حين أصل، كنت هكذا كلما وصلت إلى مرسيليا، أشعر أنني حر من المشكلات، حر من الذهاب في تقليبها يمينا و يسارا حر من البحث عن حلولها عبثا...."[2]

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص325/324.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**،ص347 .

- **نادي (المؤتمر الإسلامي الجزائري) بمرسيليا:**

انضم مالك بن نبي إلى هذا المكان بعد ذهابه إلى مرسيليا بنية إلقاء دروس للجزائيين القاطنين هناك حيث يقوم بدور المعلم هناك و الشيخ حسب ما لقبه صديقه (سوالمية)، فقد رأو في (الصديق) بصيص الأمل الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور ....." دون أن أذكر لحظة واحدة في الراتب الشهري أن يكلمني فيه أحد، و إنما اقتنعت بحسن النية التي شعرت بها عند الجميع، و خصوصا بتصميم (سوالمية) في الموضوع، و رأيته فعلا ينطلق ذلك المساء إلى كل مكان في جزائري، و إلى كل مطابخ و مقاهي شارع (دو شابولييه) ليعلن النبأ: إن الشيخ (الصديق) قد وصل و سيعقد أول اجتماعه في النادي يوم الأحد المقبل. و لم يبق لي إلا أن أقوم عن كراهية أو رضا بدوري الجديد، دور الشيخ غير المعمم، و أتى اليوم الموعود، و حوالي الساعة الرابعة مساء كانت القاعة مكتظة و افتتح (التلموذي) الجلسة فتكلم على واجب إنعاش المؤسسة بالاشتراكات الشهرية، و تكلم بعده عضو آخر من هيئة التأسيس فقال: قد أتانا بصيص من نور مع الشيخ (الصديق) إن قمنا بواجبنا يصبح مضيئا و إن تركناه ينطفئ، إني أتذكر إلى اليوم هذه الكلمات التي ختم بها كلامه، ففاضت عيناي دمعا لا لأن الكلمات وجدت غرورا في نفسي بل كانت أول رد سمعه الاستعمار من فم رجل من الشعب الجزائري على موقفه الوحشي تجاهي مع أسرتي منذ سنوات... و في هذه اللحظة من السعادة الشاملة شعرت بأنني سعيد. سعيد بأول إنتصار لي على الاستعمار و شعور من يخرج من قبر قُبِرَ فيه حيا....."[1]

إن البعد النفسي و الإجتماعي جلي لهذا المكان و كذا البعد الفلسفي الذهني لأن في هذا المكان (النادي) قرر مالك بن نبي في قرارة نفسه أن يعد برنامج تعليمي يليق بمن يدرسهم و الذين تختلف أعمارهم و سوابقهم الذهنية و يكون هذا البرنامج بالمستوى المطلوب، و قرر أن ى يتبع الطريقة التقليدية للتعليم (الحروف و الأعداد) بل أن يتجاوز ذلك لما هو أهم و أنفع و هو أن يكون في تلامذته شخصية ذات ابعاد تهز في النفس و تحدث تغييرا فيها، فبطبيعة الحال يعلمهم الكتابة و

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص399/400.

القراءة و لكن الأهم من ذلك أن يحدث طفرة في تفكيرهم بمفهوم اللانهاية الذي يحدث فعلا تغييراً جذرياً للإنسان في قوله .."فلم أستغرب سؤال العامل، و بقي علي ان أجيب على تساؤلي في تقرير برنامج تعليم يليق بمثل هذه الحلقة، التي يختلف أفرادها في الأعمار و التكوين و السوابق الذهنية إلى حد بعيد..... و لم أكن أرى شيئا يصلح لهذا الغرض مثل مفهوم (اللانهاية) الذي يفتق فعلا الحدود العادية في النفوس، كل النفوس المرتبطة في أول نشأتها بعالم الأشياء المحدودة بطبيعتها، و ليس من وسيلة تعبر بطريقة محسة على مفهوم اللانهاية مثل الأعداد الكبيرة فعندما يتعود الطفل أو التلميذ المسن كتابة عدد كبير تحت إملاء معلمه ثم عدد أكبر فأكبر.. فإن الشعور ب(اللانهاية) يتكون عنده تلقائيا نتيجة انفجار داخل حدوده العقلية السابقة..."[1].

فمن خلال هذا القول نجد البعد الفلسفي الذهني الذي فكر فيه مالك بن نبي "و لكن للخريطة ميزة أخر في التكوين، فإذا كان الحساب ينبه العقل للكم، فإن الجغرافيا تنبهه للكيف، أي للاختلاف بين الأجناس و الرقعات الحضارية، و المواصلات بأنواعها و الإنتاج بأنواعه المختلفة حسب المناطق و الجهات، أي لكل انعكاسات العبقرية البشرية على سطح الأرض، و كان الحديث على هذا الجانب الكيفي، يسوقنا بطبيعة الحال إلى الحديث في الموضوعات السياسية و الأخلاقية و في السلوك خاصة: يجب ألاتمشوا على الرصيف مشية البهائم التائهة، تسدونها على المارة يجب أن تتقنوا عقدة الرقبة ما دمتم تستعملونها، يجب أن تقصوا شعركم بطريقة تحسن صورتكم...كنت أكرر هذه التوصيات في كثير من المناسبات و أعود إليها في كل مناسبة جديدة.... فأصبح نظرهم يشع إنسانية، و يعكس حياة داخلية تحركها فكرة أو يلونها انطباع أو تشع فيها عاطفة... كنت أعيش تجربة مؤثرة، تكشف لي عن حقيقة أدركها لأول مرة، ألا و إن الحضارة التي تضع على عالم الأشياء طابعها الخاص، تضعه أيضا على وجه الإنسان، فتجعل عليه مسحة الجمال...."[2].

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص406/407.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص410/411.

إن مالك بن نبي حاول بكل ما أوتي من قوة وجهد أن يجعل من طلابه مثقفين قدر الإمكان و أن يزرع فيهم الإنسانية و اتخاذ القرار و تغييرهم من السوء إلى الأفضل و بفضل الله نجح في ذلك، فنجد البعد الإصلاحي و الثقافي واضح و كذلك الحضاري حيث حاول من خلال هذا المكان بن نبي أن يعلمهم و يثقفهم و يجعل منهم أناس متحضرين بمعنى الكلمة، إن البعد الزمني التاريخي موجود بكثرة في الكتاب و تمت الإشارة إليه العديد من المرات ولاسيما القسم الثاني (الطالب) من المذكرات وفيما يلي بعض المقاطع عن البعد الزمني: ...." حين اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى التي غيرت فيما بعد وجه العالم لم يكن لذلك الحدث وقع كبير في نفسي، فالرابع عشر من آب (أغسطس) عام 1914م لم يكن بالنسبة إلى غير يوم كباقي أيام السنة و حين سمعت جدتي تستعيد ذكريات حرب عام 1870م أو (عيطة البروس) كما كانت تسميها.."[1] نلاحظ من خلال هذا القول البعد الزمني التاريخي كما ذكرنا سابقا فقد ذكر بن نبي الأحداث التي عاشها و تاريخ لذلك الحدث مما يجعلنا نقول بأن مذكراته كانت نوعا ما عبارة عن تدوين لتاريخ على حسب ما شهد منه بن نبي .." إني لا أعلم إذا كان الاستعمار طالع في برج السماء، إلا أني أعلم أنه في تلك السنة 1924-1925 كنا نعيش في ظل طالع الاستعمار، لقد ----- حرب الريف مواقف حديدية في فرنسا س1919م، فقد أثبت الأمير عبد الكريم أن إمبراطورية استعمارية يمكن النيل منها...."[2]

"و قد دارت مناقشات طويلة حول هذه النقطة بيني و بين صديقي (محمد بن سعيد) فيما بعد حينما التقيت به في باريس 1931، و لم أبدأ بالتعرف على خطئي هذا إلا عام 1939م و في عام 1947م وصلت إلى اعتراف كامل بهذا الخطأ، و قد فهمت لماذا كان الشرع الإسلامي يفضل تقديم ابن المدينة ليؤم الصلاة على ابن القبيلة.."[3]

---

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص29.

[2]المرجع نفسه، ص128.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة 132.

"ومرة في حزيران (يونيو) من عام 1940م و في كهف لجأنا إليه في (Dreux) حين دخل الجيش الألماني، تواريت حتى أخفي دموعي لقد بكيت هزيمة الجيش الفرنسي و في ذلك اليوم رأيت في ذاتي عنصرا آخر كشف كل التعقيد في ضمير مسلم، في حزيران عام 1925 و حينما أعلن (دورنونDournon) النتيجة لم أبك إنما اقتحم نفسي حزن كبير و بقيت ساهما على باب المدرسة أصيل ذلك اليوم..."[1].

"ففي تبسة من عام 1925م بدأت الروح الجماعية في البروز في وقائع محددة فإنشاء النادي كان أكثر تعبيرا في هذا الإطار من عشرة انتخابات يزورها الحاكم أو الزعيم..."[2].

"كان ذلك في شهر آذار (مارس) من عام 1927 حين وصلت إلى (آفلو) لم يسبق لي أن زرت منطقة وهران من قبل و حين فصل بنا المسير إلى (غيليزان) لنبدل القطار إلى تيارت، زايلني شعور بالاغتراب إذ بدأت لهجة الناس تتغير..."[3]

" ربما كنا في شهر آذار (مارس من عام 1928 توقفت في قسنطينة قبل أن آخذ عربة تبسة، لقد أردت أن ألتقي الشيخ بن باديس خاصة..."[4]

" لم تكن أفكاري قد اتسقت بعد مع وضعي الجديد، منذ نزلت في صبيحة يوم من شهر أيلول(سبتمبر) عام 1930 بمحطة ليون بباريس....."[5]

..." كان يوم الجمعة من عام 1931م و قد تولى الله المر فهداني غلى زوجي و هداها هي فسمت نفسها خديجة و أخذت على الفور زمام حياتي المادية في البيت...."[6]

---

[1]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص137.

[2]-المرجع نفسه،ص169.

[3]-المرجع نفسه،ص 171.

[4]-المرجع نفسه، ص184.

[5]- المرجع نفسه، ص203.

[6]-المرجع نفسه، ص236.

...." كنت أتأثر من هذه المحن التي بدأت تنصب على أهلي بسببي دون أن أغير سلوكي بسببها، بل كانت الأحداث نفسها تزيدني تصلبا و تحديا في نظر الإدارة الإستعمارية التي بدأت في ذلك الشهر بالذات شهر شباط (فبراير) عام 1932، تولي اهتمامها في الأوساط الطلابية بصدى حدث وقع بعاصمة الجزائر حيث أمر الحاكم بمنع أي نشاط لجمعية العلماء في مساجد الوطن.."[1]

...." هذه هي الحقيقة أمام التاريخ.. فلولا تدخل مصالي الحاج في الأمر، لماوجدت الجزائر نفسها أما كثير من مشكلات التي عانتها بعد الإستقلال سنة 1962... و لكن فلنترك التاريخ يتابع مراحله و لنبق في مرحلة اجتماعنا بغرفة البقال بشارع (سان جاك) ....."[2]

و هناك الكثير من المقاطع التي ذكر فيها الزمن و التاريخ في الصفحة /425/420/416/415/381/358/329/319/304/270/266/262/257/255 .428

...." و ربما يعجب هنا أولئك المثقفون الذين اصبحوا لا يدركون لغة الشعب الجزائري المسلم، إنني لا أكتب هذه المذكرات من أجلهم، و لكن للشعب عندما يستطيع قراءة تاريخه الصحيح أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أحيانا أفلاما كاذبة، و التي سيكون مصيرها في صندوق المهملات مع مخلفات العهد الاستعماري...."[3]

...." و يجب أن نقول الحقيقة للتاريخ: إن الوطن لم يكن يبحث عن أفكار تكنية، و ربما كنت الجزائري الوحيد الذي لا ينام من أجلها، و ربما كانت الجزائر حينئذ في منعطف سيبعدها حتى عن الافكار التي ولدت على أرضها،فتراها في تلك الفترة بالذات تولي ظهرها للأفكار الإصلاحية حتى في تلك اللحظة التي يتوجها المؤتمر الجزائري الإسلامي...."[4]

---

[1]-المرجع نفسه، ص242.

[2]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص246.

[3]-المرجع نفسه،ص288.

[4]-**مذكرات شاهد للقرن**، ص364.

من خلال هذين المقطعين يتضح لنا الغرض الأول و الأخير الذي دفع مالك بن نبي إلى كتابة مذكراته بالدرجة الأولى هو إطلاع الشعب الجزائري خاصة بأحوال بلده في وقت الاستعمار الذي عاش ردحا من الزمن فيه و الوجه الحقيقي لكل شخص عايشه بن نبي و إطلاعنا عن الأحداث التاريخية الصحيحة التي من الممكن لم تصلنا كما هي في كتب المؤرخين و كتب التاريخ.

خـــــاتمـــــة

وصلنا إلى نهاية هذا البحث و قد رسخت في أذهاننا فكرة حاولنا أن ندرسها ونتعمق فيها حتى ظهرت لنا مدى أهميتها و هي أن المكان لا تقتصر دراسته على الرواية والشعر فقط بل يمكن تجاوز ذلك إلى المذكرات و السيرة الذاتية وغيرها من الأعمال الأدبية التي تتضمن المبنى المكاني،و أن للمكان جمالية خاصة أضافت الكثير،ونتمنى من خلال هذا البحث فتح المجال لدراسات أخرى للمكان في مختلف الأجناس الأدبية فمن خلال هذا توصلنا إلى جملة من النتائج:

- يدور مفهوم المكان اللغوي حول تعريفات متعددة كالمنزلة والموضع
- يتشكل المكان من خلال تجربة إبداعية عاشها الكاتب بكل تفاصيلها ويوردها في العمل الأدبي.
- يمكن إبراز أي حالة نفسية أو اجتماعية أو حتى تاريخية من خلال المكان لسبب تشعب هذا الأخير وحمله لعدة دلالات وأبعاد
- للبعد المكاني عدة اتجاهات عندما يختص ذلك بالعمل الأدبي
- ليس بالضرورة لكل مكان بعد خاص به،فيمكن أن نجد في المكان عدة أبعاد تجتذبه.
- لا يمكن فصل أي عمل أدبي عن المكان ذلك لأهميته،وانه جزء من الحدث، كما نجد أن للمكان عدة رموز ودلالات تساعد السارد بان يوظفها في شتى المجالات ويوصل أفكاره ومبتغاه من خلال المبنى المكاني.
- تم تصوير المكان في الكتاب (مذكرات شاهد للقرن)على وجه الحقيقة في كلا القسمين (الطفل والطالب) أي كل مكان تم ذكره هو مكان موجود فعلا وليس من خيال المؤلف، وهذه طبيعة السيرة الذاتية بخلاف الروايات التي تحتمل تخييل المكان.
- أضاف المكان في الكتاب عدة جماليات نلمسها من خلال سرد الراوي ووصفه له وكذلك لما نجده من وقع على نفس مالك بن نبي في أي مكان مذكور.

- تختلف طبيعة المكان في قسمي الكتاب حيث تدور أحداث القسم الأول داخل البلاد و يمثل غالبا هذا القسم الشرق، بينما في القسم الثاني نجد أحداثه خارج البلاد و يمثل الغرب و فكره.
- من عوامل الإبداع المكاني في المذكرات هو تنوعه بين مدن كبرى وقرى صغرى.

مما توصلنا إليه هو تعدد الأبعاد المكانية في المذكرات ولاسيما البعد الزمني التاريخي، فمن خلال الدراسة اتضح لنا أن مالك بن نبي كان له غرض بارز من توظيفه لهذا النوع من الأمكنة الحاملة للبعد التاريخي الحضاري.

البيبلوغـــــرافيا

- **القران الكريم**

قائمة المصادر والمراجع:

- بسـام علـي أبـو بشـير _**جماليـات المكـان فـي روايـة "بـاب السـاحة" لسـحر خليفـــــــــة**_مجلـــــــة الجامعـــــــة الإســـــــلامية _**جامعـــــــــــة الأقصى**_غزة_فلسطين_مج15_ع2_2007م
- أبـــو بكـــر محمـــد بـــن الحســـن بـــن دريـــد الازدي_**جمهرةاللغـــــة_دار الباز**_ط1_1345ه
- داوود غطاشـة الشـوابكة و مصـطفى محمـد الفـار_**دراسـات أدبيـة نقديـة فـي الفنـون النثرية**–ط2–دار الفكر–ناشرون و موزعون–عمان–2010م
- ســعيد علــوش_**معجـــم المصـــطلحات الأدبيـــة المعاصـــرة**_دار الكتـــاب اللبناني_بيروت_لبنان_ط1_1985م
- طـــاهر عبـــد مســـلم_**عبقريـــة الصـــورة و المكـــان**_دار الشـــروق للنشـــر و التوزيع_عمان_الأردن_2002م
- عـز الـدين مناصـرة_**الأجنـاس الأدبيـة فـي ضـوء الشـعريات المقارنـة**_ط1_دار الرايـة للنشر و التوزيع–الأردن–عمان–2010م
- علـي بـن محمـد الجرجـاني_**التعريفـات**_طبعـه و صـححه جماعـة مـن العلمـاء بإشـراف الناشر_دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان_1982م
- فريـدة إبـراهيم بـن موسـى_**زمـن المحنـة فـي سـرد الكاتبـة الجزائريـة**_ط1_دار غيـداء للنشر و التوزيع_عمان_2012م
- فيليـب لوغـون_**الأجنـاس الأدبيـة مـن الضـبط إلـى العبـور** _ترجمـة الأمـين بـن مبارك_مكتبة علاء الدين_صفاقس_تونس_2008م

- كحلـــــــوش فتيحـــــــة_**بلاغـــــــــة المكـــــــــان**_ط1_دار الانتشـــــــار العربي_بيروت_لبنان_2008م
- مجمـــــــع اللغـــــــة العربيـــــــة _**معجـــــــــم الوســـــــــيط**_مطـــــــابع الاوفست_القاهرة_ج2_ط2_1985م
- محمـــد مرتضـــى الزبيـــدي_**تـــاج العـــروس مـــن جـــواهر القـــاموس**_تحقيقـــد.حســـين نصار(مطبعة حكومة الكويت)1974م
- محمـــــد بـــــوعزة_**تحليـــــــل الـــــــنص الســـــــردي**_ط1_دار العربيـــــة للعلـــــوم ناشرون_بيروت_لبنان_2010م
- مصطفى الضبع_**إستراتيجية المكان**_الهيئة العامة لقصور الثقافة_1998م
- ابن منظور الأنصاري_**لسان العرب**_ط1_دار صادر_بيروت_1997م
- **مالـــك بـــن نبـــي مـــذكرات شـــاهد للقـــرن**_ط10_دار الفكـــر آفـــاق معرفـــة متجددة_دمشق_2016م
- ياســين النصــير_**إشــكالية المكــان فــي الــنص الأدبــي**_ط1_دار الشــؤون الثقافيــة العامة_بغداد_1986م

المجلات والرسائل الجامعية:

- جـوادي هنيـة_**صـورة المكـان و دلالتـه فـي روايـات واسـيني الأعـرج** (أطروحـة دكتوراه) بإشراف –د- صالح مفقودة- 2012-2013م
- خـرفي محمـد صـالح _**جماليـات المكـان فـي الشـعر الجزائـري المعاصـر** (أطروحـة دكتـــوراه)جامعـــة منتـــوري_قســـنطينة_الجزائـــر بإشـــراف-ا-د-يحـــي الشـــيخ صالح_2005-2006م

- **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**_المجلد 11_العدد2

- **مجلة عالم الفكر**_المجلد9_العدد1_1987م
- نـــواف نصـــار_**معجـــم المصـــطلحات الادبيـــة**_ط1_دار المعتـــز للنشـــر و التوزيع_عمان_2011م
- الكتب المترجمة:
- باشلارغاستون_**جماليـات المكـان_ترجمـة غالـب هلسـا**_ط3_المؤسسـة الجامعيـة للدراسات و النشر_بيروت_لبنان_1987م
- يـوري لوتمـان_**مشـكلة المكـان الفنـي**_ترجمـة سـيزا قاسـم _جماليـات المكـان_مجموعـة من الباحثين_**عيون المقالات**_الدار البيضاء_ط2_1988م

المواقع الإلكترونية:

كتابة سميحة ناصر خليف_مدن عربية-http://w.w.w.mawdo3.com

الأبعاد المكانية في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور:

بثينة محفوظي ابوبكر بوقرين

الملخص البحث:

إن المكان في العمل الأدبي يعتبر أحد ركائزه الأساسية وجزء لا يتجزأ من الحدث، حيث تنشأ بين المكان و الإنسان علاقة متبادلة حيث يؤثر أحدهما على الآخر، وازدادت في الآونة الأخيرة العناية بدراسة المكان في الشعر والرواية دون الالتفات إلى باقي الأجناس الأدبية الأخرى ،لذا كانت غاية هذه الدراسة تسليط الضوء على المكان في داخل جنس أدبي لم يدرس فيه هذا النوع من الدراسات لذلك اخترنا جنس أدبي جديد لدراسة المكان و هو المذكرات ووقع اختيارنا على مذكرات شاهد للقرن للمفكر الجزائري مالك بن نبي و درسنا الأبعاد المكانية فيه.

Abstract search:

The place in literary work is considered one of its main pillars and an integral part of the event, as a reciprocal relationship has developed between one and one where one affects the other, and in recent times, care has been increased to study the place in poetry and narration without paying attention to the rest of the other literary races, so it was The purpose of this study is to shed light on the place within a literary genre in which this type of studies has not been studied, so we chose a new literary genus to study the place, which is the notes, and our choice fell on memoirs of the century witness of the Algerian thinker Malik bin Nabi and we studied the spatial dimensions in it.